

السنة: الثانية جامعي تسيير المدن

تخصص : تسيير المدن .

مقياس: جغرافيا المدن.

الاستاد: طريفة محمد.

المحاضرة الثالثة : العمران و التطور الصناعي للمدن

l'Urbanisme et le développement des villes de moyen âge - l'urbanisme et le développement des villes industrielles

تمهيد:

بعدما سقطت بقايا الدولة الرومانية في العصور الوسطى أصبح الكثير من المدن مجرد أطلال ومأوى للربان وفي القرن الحادي عشر بدأت المدن تظهر من جديد نتيجة لظهور التجارة وتحديدًا التجار المتجولين الذين يعبرون القارة كلها ويوفر لهم النبلاء الحماية لأنهم يوفر لهم حاجاتهم من سلع كمالية لقصورهم التي سكنوها، كما ظهرت المعارض والأسواق الدولية التي كان التجار ينتقلون فيها من مكان إلى آخر. وبدأ سكان المدن يحكمون أنفسهم حكمًا ذاتيًا وبموجب مراسيم خاصة وديساتير، حين أخذت المسيحية بالانتشار في أوروبا ونتج عن ذلك إنشاء الأسقفيات وبناء الكنائس والكاتدرائيات، وإنشاء النقابات للتجار والصناعيين. واتخذت من المدن مقرا لها .

في القرن السابع عشر تم إمداد المياه إلى المنازل عن طريق أنابيب ولكن أوجه النظافة والأحوال الصحية كانت متخلفة .

في عصر النهضة قوي نفوذ الدول الأوروبية واهتمت الرأسمالية بتطوير المدن القائمة لتكون مراكز للإدارة ولرؤوس الأموال، فازداد عدد سكان المدن. وبدأت المدن بالتخصص الوظيفي، كما بدأ الاهتمام بالشوارع في داخل المدن، فتم توسيعها والعمل على استقامتها، وبدأت الدكاكين والأسواق في المدينة، ثم ظهرت الواجهات الزجاجية والدكاكين المتخصصة في نوع محدد من السلع كالأقمشة والأحذية. وأدى ذلك إلى بدء ظاهرة الرحلة اليومية للعمل، خاصة حين اتسعت المدن وبدأت السيارات تكثر في شوارعها، وبدأ المجال الأخضر يصبح ضرورة في المدن .

المدن في العصر الحديث

بالرغم أن من قيام العاصمة "مدن العواصم" في العهود القديمة وفي عصر النهضة الأوروبية أدى إلى ظهور مدن كبيرة، إلا أن التغيرات التقنية والاقتصادية التي نجمت عن الثورة الصناعية أدت إلى انقلاب في أحجام المدن، وفي نسبة السكان الذين يعيشون بها على مستوى الدول والعالم .

يمكن إرجاع النمو الحضري الضخم في العالم في العصر الحديث إلى عدة عوامل ولكن أهمها على الإطلاق عاملان هما :

(1) الثورة الزراعية وتوفير الغذاء

كان للثورة الزراعية التي شهدتها العالم في العصر الحديث دور كبير في نمو المدن وتضخمها، وقد حدثت هذه الثورة في غرب أوروبا قبل أن تشهد الانقلاب الصناعي والتجاري، وقد تمثلت الثورة الزراعية في استخدام السماد واتباع الدورة الزراعية وإدخال أنواع جديدة من المحاصيل واستعمال البذور المنتقاة وتحسين أنواع الماشية بتربية السلالات الجيدة واستخدام بعض الآلات المستحدثة .

وقد أدى هذا التطور الزراعي الكبير إلى ازدياد الأرض دون الاستعانة بمزيد من الأيدي العاملة في الوقت الذي كان عدد السكان يزداد باستمرار، وأدى ذلك إلى البحث عن أعمال أخرى غير الزراعة طالما أنها توفر الغذاء للجميع ودون نقص في الموارد الغذائية، واتجه

جزء كبير من السكان لسكنى المدن وانصرفهم عن العمل في الأرض الزراعية. وقد واكب هذا التطور في الزراعة في غرب أوروبا اتساع مساحات الأراضي الزراعية في العالم بعد الخروج الأوربي الكبير إلى أراضي العالم الجديد وأستراليا ونيوزلنده وجنوب أفريقيا. وقد أدى ذلك كله -كما سبق القول- إلى فائض زراعي وفير بدأ بدوره يكون أساس هاماً للتجارة والتبادل، التي اعتمدت هي الأخرى على تقدم وسائل النقل البحري والبري والتقدم في وسائل حفظ الطعام "بالتبريد" واستطاعت السفن أن تنقل الغلات الزراعية والمنتجات الحيوانية إلى غربي أوروبا وجهات أخرى من العالم .

وقد أدت هذه الزيادة الضخمة في إنتاج الغذاء وإمكان نقل الفائض منه إلى المناطق البعيدة إلى زيادة في عدد السكان الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، مما أدى بدوره إلى تزايد أحجام المدن تزايداً كبيراً حيث أدى استخدام الآلة في الزراعة إلى جعل أعداد كبيرة من العمال الزراعيين يتجهون نحو المدن بحثاً عن فرص العمل .

(2) الثورة الصناعية

لم تكن الثورة الزراعية وحدها مسؤولة عن زيادة عدد سكان المدن بل أدى الانقلاب الصناعي وظهور الآلة البخارية إلى تركيز السكان في المدن، وساعد على ذلك توطن الصناعة فيها حيث أصبحت مراكز جذب قوي لسكان الريف حيث الأجور العالية وفرص العمل المتوفرة وقد أدى ذلك إلى تزايد سكان المدن على حساب الريف، بل وأصبح ذلك سمة بارزة من سمات هذا العصر ليس في الأقطار المتقدمة وحدها بل وفي الدول النامية كذلك، وقد ساعد على ذلك شرايين النقل بين المدن والريف وخاصة خطوط السكك الحديدية التي أدت إلى نشر الصناعة وتقدمها ومن ثم تحسن الأحوال الاقتصادية وتزايد عدد السكان في الريف والحضر وإن كانت المدن قد شهدت معدلات نمو عالية أكثر من الريف. وقد أدت كل هذه العوامل إلى نمو مدني هائل في العالم، حتى إن مدن العالم الغربي قد نمت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمعدل أسرع من أي وقت مضى وكان ذلك التوسع ملحوظاً بدرجة أكبر في الولايات المتحدة، وهنا أنشئت شبكة من السكك الحديدية

في شرق البلاد في الأربعينات من القرن الماضي، وانتشرت باقي المراكز العمرانية بمعدل أسرع بعد ذلك في أمريكا الشمالية وخاصة على السواحل وعلى الأنهار الملاحية وعلى ضفاف البحيرات العظمى وفي المناطق الداخلية .

وتتعدد الأمثلة على النمو الحضري الكبير في دول العالم مثلما يبدو في المدن الأوروبية فقد تضاعف عدد سكان الحضر في إنجلترا في الفترة من 1871 - 1911 من 14 مليونا إلى 28 مليون نسمة، وفي نفس الفترة ارتفع سكان المدن في فرنسا من 11 إلى 17.5 نسمة فمدينة باريس مثلا بلغ عدد سكانها في عهد نابليون الأول 527.000 نسمة، بعد ذلك بخمسين عاما فقط تعدت المليون نسمة وذلك في سنة 1950 . ثم سنة 1960 إلى 7.8 مليون نسمة سنة. وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين قد شهدا توسعا ضخما في العمران الحضري، ويمكن الاستنتاج مباشرة أن جذور هذا التوسع الكبير ترجع إلى عدة عوامل أبرزها استيعاب نسبة المهاجرين الذين لفظتهم المناطق الريفية. وتعد المدن المليونية نماذج مجسدة للنمو الحضري، وأرجح الظن أن العالم لم يعرفها إلا منذ سنة 1800 وذلك لأنها تعد طفرة حضارية في تاريخ البشرية ففي أوائل القرن التاسع عشر لم يكن بالعالم إلا مدينة مليونية واحدة وتزايد عددها حتى وصل إلى 11 مدينة مليونية سنة 1900 ثم إلى 50 مدينة سنة 1950 ثم قفز هذا العدد ليصل إلى 64 مدينة في سنة 1970 يربو حجم كل منها على مليوني نسمة وتتميز غالبية دول العالم النامي بالنمو السريع في جملة سكانها خلال القرن العشرين وبأن معدل تزايد السكان الحضريين بها كبير بدرجة تفوق معدل النمو في الدول المتقدمة وتكرر هذه الظاهرة في كثير من الدول النامية، ففي البرازيل تزايدت المدن فئة 100000 وارتفعت نسبة سكان مدينة فيما بين سنتي 1920-1962 من 6 مدن إلى 31 مدينة . وتتفاوت دول العالم في توزيع نسبة سكان المدن بها ويرجع ذلك إلى اختلاف أقاليم العالم .

في الأخذ بأسباب الحضارة واختلاف مقومات الحضارة ذاتها، فتسود الحضارة الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية بينما تسود الحضارة الزراعية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وبصفة عامة فإن الحياة المدنية تظهر في كل قطر بدرجات متفاوتة وإن كانت الدول الصناعية تحظى بالنسبة العالية أكثر من 70%، بينما تقل النسبة عن ذلك كثيرا في 8 الأقطار الزراعية النامية .

صورة : مدينة نيويورك نموذج للمدينة الحديثة



أصبح نمو المدينة يتم عموديا وأفقيا ولم يعد المنزل المكون من طابق واحد أو طابقين هو القاعدة المنتشرة، وظهرت ناطحات السحاب في كثير من المدن. وإلى جانبها أنفاق تحت السطح يوجد فيها قطارات كهربائية سريعة Les METROS دون أن تعترضها عوائق النقل السطحي من تقاطع وإشارات، وظهرت أيضا مواصلات معلقة لتسريع حركة النقل داخل المدن الكبرى. وهذا أدى بدوره إلى نمو الضواحي حول المدن .

صورة: مترو الانفاق بمدينة باريس



لقد أدت صعوبة الوصول إلى مركز المدينة إلى التفكير في نقل بعض الوظائف من قلب المدينة إلى أطرافها وكانت من أوائل الأنشطة التي انتقلت إلى أطراف المدن الأنشطة الصناعية لانخفاض أثمان العقار وسهولة نقل المواد الخام وحماية وسط المدينة من التلوث الناجم عن الصناعة من نفايات وأدخنة وروائح غير صحية .